رسالة عمدة الإذاعة
كانون الثاني 2023

الخامل والنابه يتساويان في التدمير ولا يتساويان في التعمير

معجميًّا:
الخامل: الكسول، غير النبيه، الجامد، الساكن.
الخفيُّ: الساقط الذي لا نباهَة له.
النّابِهُ: ذو الذّكر الحسن.
النّابِهُ: خلافُ الخامل.
نَابِهٌ فِي عَمَلِهِ: مُتَيَقِّظٌ، فَطِنٌ.

ففي ميزان التقييم، كيف يتساوى الخامل والنابه في التدمير؟ وهل التدمير ميزة أساسيّة ثابتة من ميزات الخامل؟

الواقع أنّ الخامل يفتقر إلى أدنى مستوى من مستويات البناء إذ هو يتصرّف خارج حدود الوعي الذاتيّ الحقيقيّ؛ فالمسرى العمليّ الذي يسلكه لا يقاس على أساس سليم، بل هو ناتج كيفيّةٍ لا ترقى إلى وعي الفعل وعيًا عقليًّا هادفًا؛ وأكثر من ذلك فإن أيّ رمية صائبة منه إنّما هي رمية عشوائيّة تصيب الهدف دون معرفة بضوابط هذه الهدف. وبالتالي فما يقوم به الخامل هو أقرب للتدمير منه إلى أيّ شيء آخر، ولكن دون إدراك وتصميم، علمًا أنّ الخمول سوءة طارئة، وهي من السوءات التي تطرأ على الأفراد ولا يمكن أن تصيب المجتمع.

وعلى الرغم من سوء فعل الخامل، فإنّه يبقى أقلّ خطرًا من نابه يرمي الفعل البنّاء وراء ظهره ويندفع وراء ممارسات تدغدغ منافعه الخاصّة، وإن على حساب المصلحة العليا. فتدمير النابه مقصود، أمّا تدمير الخامل فناتج جهل وسوء تقدير.

وإذا كان التدمير المقصود هو الأكثر تأثيرًا وأذيّة، وإذا كانت المقارنة بين تدمير وآخر مقارنة عبثيّة، فإنّ أيّ تدميرٍ هو عمليّة تخريبيّة كبر حجمها أم صغر.

والتدمير المقصود الذي يقوم به النابه الذي سيطرت عليه السوءات، وتغلّبت على فعل العقل الباني فيه؛ فتباهته هنا إن هي إلّا وجه آخر من وجوه الإساءة إلى حقيقة العمل البنّاء، وطعن مقصود في صدر البناء الحيويّ الذي يرمي إليه أبناء الحياة الخلّص.

ولأنّ عمليّة البناء والتعمير عمليّة دقيقة إطارها العام المنطلق الواقعيّ الحقيقيّ والغاية الشاملة الكبرى التي بتحقيقها تحقيق جودة الحياة الاجتماعيّة ناهيك بالمسار الذي يربط بين المنطلق والغاية.

وهذه العمليّة ليست وليدة الصدفة، أو المزاج، بل هي ناتج وعيٍ لحقيقة الحياة وعظمتها؛ والنابه الواعي دون سواه هو من يتنكّب الالتزام بها؛ وأيّ خروج أو انحراف عن مقوّمات المنطلق ودقائق الغاية وضوابط الطريق التنفيذيّة، يعرّض العمل البنائيّ للخلل ومن ثمّ للزعزعة؛ ويصبح امر التصويب بعد ذلك صعبًا، وإن لم يدخل حيّز الاستحالة؛ باعتبار أنّ الترميم عملُ شاقّ ومضنٍ، لكنّه ليس مستحيلًا.

وإذا كان لكلّ فردٍ في تفاعله مع الآخرين دورٌ بنائيّ يعطي نتائجه بقدر الاالتزم بقواعد البناء الحقيقيّ، فهو بالمقابل يرتدّ عكسيًّا إن هو أخلّ بقاعدة البناء الراسخة والثابتة.

قاعدة بنائيّة أخرى لا بدّ من الالتزام بها ألا وهي نقل المقول الصحيح إلى دائرة التنفيذ، إذ ليس المهمّ فقط أن نعلن الحقائق بل أن نعمل بضمونها بدقة واستمرار؛ خاصةً وأنّ عقيدتنا هي عقيدة عمليّة عظمتها في كونها فكرًا تطبيقيًّا، وليست من عالم التجريد الفكريّ الصرف.

"... وأقصد بالتفكير العملي التفكير الّذي يكون من ورائه قصد وإرادة يدفعان صاحبهما إلى العمل، وهذا النوع من التفكير هو الوحيد الّذي يُرجى من ورائه عمل نظامي يؤدّي إلى تحقيق الغايات الّتي يحوم حولها..." سعادة 1932.

وهذا التفكير العمليّ القائم على واقع وحقيقة، هو المرتكز الذي يحيي فعل الحياة في كلّ إمكانيّة إنسانيّة، ويسقط الخمول الطارئ، ويفعّل قدرة البناء في النابهين ويضبط مسارهم العمليّ ليكونوا الفعاليّات الناهضة البانية وعند حسن ظنّ سعادة بأبناء وطنه.

المركز، في 10 كانون الثاني 2023

لتحيَ سورية وليحيَ سعادة
عميد الإذاعة في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ
الرفيق نايف معتوق

أجاز نشر هذه الرسالة رئيس الحزب الرفيقة جوليات فيّاض حبيب.